الألوهية بين باركلي وكانط دراسة نقدية مقارنة من منظور إسلامي

د. محمد بحر محمد حسن
أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك - جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية
mbhassan@kfu.edu.sa

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٥/٢٨م
القبول: ٢٠٢٤/٦/٢٩م
تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٧/١م

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة موضوع الألوهية، ومفهومها، والمحاولات العديدة للبرهنة على وجود الله تعالى في الفلسفة الحديثة عند كل من الفيلسوفين جورج باركلي وإيمانويل كانط، ولا سيما وأنهما يعدان من أقطاب النزعة العقلانية الواضحة في المعالم والسمات، ولا شك أن مسألة الألوهية قد حظيت بمكانة مهمة وبارزة ومؤثرة في الفلسفة الحديثة عامة، وفي كتابات هذين الرجلين خاصة، كما تُعنى هذه الورقة البحثية بأدلة إثبات وجود الله في الفكر الإسلامي، مع مناقشة موضوع الألوهية والبرهنة على وجود الله تعالى في المنظور الإسلامي، وهو بمثابة الرؤية النقدية للبراهين والحجج التي قدمتها الفلسفة المثالية والفكر العقلاني . وقد تم استخدام المنهج النقدي المقارن في هذه الدراسة . ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث إن كلاً من باركلي وكانط ينتميان إلى مدرسة الفلسفة المثالية؛ والتي تعني: النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه.

كذلك من النتائج التي توصل الباحث إليها أن دعوى تعارض الإيمان بالغيب مع العلم أو العقل دعوى باطلة لا دليل عليها، ولا برهان معها؛ وإنما هي كذب محض وافتراء لا أساس له من الصحة، والمفهوم الإسلامي يقوم على أسبقية الإيمان بالغيب كأساس للدين.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، المثالية، الفكر، الإسلام، علم الكلام .

الإحالة: حسن ، د. محمد بحر محمد. الألوهية بين باركلي وكانط دراسة نقدية مقارنة من منظور إسلامي. مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة - محكَّمة), ١١(٤٣), ٢٠٢٤، ١٨١–٢٠٧.

Deism between Berkeley and Kant: A comparative critical study from an Islamic perspective

Dr. Mohammed Bahr Mohammed Hassan

Associate Professor of Doctrine and Doctrines, King Faisal University, Saudi Arabia

Received (date): 28/05/2024
Accepted (date): 29/06/2024
Published (date): 01/07/2024

Abstract:

This article aims to address deism, its concept, and the several attempts to prove the existence of Allah in modern philosophy by the philosophers, George Berkeley and Immanuel Kant. They are considered among the poles of the rational tendency, being clear in features and characteristics. There is no doubt that the issue of deism has gained an important and prominent position. It is influential in modern philosophy in general, and in the writings of these two philosophers in particular. This study is also concerned with the evidence proving the existence of Allah in Islamic thought, representing a critical vision of the proofs and arguments by idealistic philosophy and rational thought. The study employs the comparative critical approach. It concludes that both Berkeley and Kant belong to the idealist philosophy school, and that the philosophical tendency is based on returning all existence to thought in its broadest sense. Additionally, the claim that believing in the unseen conflicts with knowledge or reasoning is false, having no evidence. Rather, it is a pure lie and a baseless slander, refuted by Islam. Islam is pillared by believing in the unseen as the basis of religion.

Keywords: philosophy, idealism, thought, Islam, theology

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد.

فإن عقيدة الألوهية قد شغلت - ولا تزال تشغل - حيزاً كبيراً من الفكر البشري عبر الزمان؛ وذلك لمكانتها وأهميتها، ولكونها المحور الأساس والرئيس في الوجود الإنساني والكوني، ولقد ذهبت الأفكار والعقول فيها مذاهب شتى ومتعددة، واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون هناك اختلاف بين العباد؛ ما بين مثبتين للوجود الإلهي، ونافين له، وفي هذا البحث سنتناول موضوع الألوهية والمحاولات العديدة للبرهنة على وجود الله تعالى في الفلسفة الحديثة، ولاسيما الفلسفة المثالية في عصر التنوير المنبثق عن حركة النهضة الإنسانية؛ عند كل من: الفيلسوف الإنجليزي جورج باركلي (١٧٥٣)، والفيلسوف الألماني إيمانويل كانط(١٨٠٤)، ومن الجدير بالذكر أن ذلك العصر كان يتسم باعتماده على المنطق واستخدام العقل والتفكير الصحيح، والبعد عن الخرافات والترهات والجهل والتفكير القديم والفساد والانحلال وكل ما أحدثته عصور الظلام آنذاك؛ من تسلط الملوك ورجال الدين ومحاربتهم للعلم والعلماء، واستغلالهم لأبناء شعوبهم لازدياد النفوذ والسيطرة عليهم وعلى كل مقاليد الأمور، والتدخل في كل شؤون الحياة في أوروبا في تلك الفترة، وسيتم تسليط الضوء على الأدلة على إثبات وجود الله من المنظور الإسلامي؛ إذ إن الله تعالى هو المستحق وحده للعبادة، والألوهية، وهي العقيدة التي من أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل؛ فدعا إليها الأنبياء والمرسلون من لدن نبي الله آدم - عليه السلام - حتى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ حتى تقوم الحجة على العباد؛ قال تعالى: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء: ١٦٥).

وعلى الرغم من كل المحاولات العقلية تجاه إثبات عقيدة الألوهية؛ فإن كل ما قبلته العقول الفلسفية في حقه تعالى أن قدرته جل وعلا لا تتعلق بالمستحيل، ولم يقبل بعض المتكلمين حتى هذا القول؛ لأنهم رأوا أن الاستحالة نوع من التقييد الذي تتنزه عنه قدرة الله سبحانه وتعالى.

وفي هذه الدراسة نتناول فكرة الألوهية عند باركلي، التي حاول من خلالها إثبات وجود الله من مبدأ الوجود الإدراكي، مع مقارنتها بفكرة الألوهية عند كانط.

أهمية الموضوع:

وتظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

١. معرفة الألوهية عند باركلي؛ كونها لها تأثير كبير في فلسفته.

٢. إثبات أن بعض الفلسفات الحديثة ذات نزعة إلحادية؛ على الرغم من إثبات كثير من الفلاسفة وجود الله، مع ما يخالف المنهج الصحيح في هذه المسألة.

٣. المقارنة بين باركلى وكانط في تصورهما للألوهية.

أهداف البحث :

١.ابراز مكانة فكرة الألوهية في فلسفة باركلى ومحاولة توضيح بأن الله تعالى هو المحور الأساسي للوجود عند باركلي .

٢. تحديد رؤية باركلى لله ثم الكشف عن الأهداف والأغراض المختلفة التي تكمن خلف رؤية باركلي ومقارنتها بأهداف كنط ورؤيته في وجود الله.

٣. الحديث عن وجود الله تعالى من منظور إسلامي.

منهج البحث:

تم استخدام المنهج المقارن عند توضيح فكرة الالوهية عند كلا من باركلي وكانط، ثم استخدم المنهج النقدي من خلال بيان وجود الله في الفكر الإسلامي.

الدراسات السابقة :

١. بحث بعنوان: فكرة الألوهية في الفلسفة الإنجليزية، لمحمد رضا نقاز، جامعة السانيا، وهران، الجزائر ١٩٩٦م.

في هذه الدراسة حاول محمد رضا أن يبين أن مبدأ "الوجود إدراك" الذي أقرّ به باركلي تحددت به عناصر الوجود المتمثلة في العقل المتناهي (الإنسان)، والعقل اللامتناهي(الله)، وهذا الأخير اعتبره علّة هذا الوجود. وبهذا أراد باركلي أن يعطي لهذا العالم المادي الخارجي صبغة روحية، لأن الهدف الأساسي من فلسفته هو هدف ديني، إذ التمس في المادية سببا للإلحاد، ومن ثمّ أسّس باركلي مذهبه التجريبي على أسس روحية تختلف عن تلك الأسس الموجودة لدى الفلاسفة التجريبيين منهم "لوك"، و"هيوم".

٢. بحث بعنوان: جورج باركلي بين الدين والفلسفة، ليامن نوح، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠٠٧م.

يُنظر إلي باركلي باعتباره أبا الفلسفة المثالية، فقد كتب الفيلسوف البريطاني «ألفريد وايتهد» أن «فلسفة باركلي جعلت فلسفة كل من هيوم وكانط ممكنة»، ولكن بالرغم من ذلك يجب الانتباه إلي أن محور انشغال باركلي الفلسفي كان منصبا حول إثبات وجود الله وقدرته المطلقة، وهو ما دفعه في المقابل إلي إنكار الوجود المستقل للمادة، وهو الموقف الذي يدافع عنه بإصرار في كل كتاباته الفلسفية، ويعتر موقفه الفلسفي الأكثر جوهرية،

٣. الدين في فلسفة كانط ، بشرى براهمية وآخرون ٢٠١٩م

ذهب الفيلسوف الألماني كانط في نقده للعقل العلمي إلى أن وجود الذات الإلهية ليس موضوع علم ومعرفة، بحيث يثبت بالبرهان والتجربة، بل هو موضوع إيمان عقلي، بمعنى أنه مقدمة مسلمة لا مناص للعقل من أن يعتمدها لتصبح الفكرة الأخلاقية الراسخة في النفوس.

وعليه من خلال هذه الدراسة نجد كانط توصل إلى موقف ديالكتيكي وسيط قريب من اللاإرادية *فقد اعتبر وجود الله هو العلة الحرة وضرورة أخلاقية لضمان حرية الإرادة ومن ثم صحة المسؤولية، ولضمان تكامل الفضيلة والسعادة.

٤- فريال حسن خليفة – فكرة الألوهية .

في هذا الكتاب توضح المؤلفة بأن باركلي قد جعل من الله الموجود المطلق الوحيد الذي لا يستقل عن عقله أو إرادته وجود الكون بكل ما فيه، وما دام الله هو العلّة الوحيدة، فالعالم عالمه وحركة العالم ترتبط بإرادته ولا مجال للحديث عن أية قوى أو فاعلية أخرى تستطيع أن تغير أو تحدث شيئا في الكون عدا إرادة الله.

نلاحظ بأن هذه الدراسات تناولت فكرة الألوهية والدين عند كلٍ من الفيلسوفين على حده وتختلف هذه الدراسات من حيث إنها تتحدث عن فكرة الألوهية عند باركلي وكانط بصورة تقترب وتبتعد مع رؤية نظر الإسلام في ذلك .

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

مقدمة؛ وتشتمل على: نبذة عن موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد التعريف بالفيلسوفين والمثالية:

المبحث الأول: الألوهية عند باركلي.

المبحث الثاني: الألوهية عند كانط.

المبحث الثالث: مقارنة بين باركلي وكانط في إثبات جود الله .

المبحث الرابع: أدلة إثبات وجود الله تعالى في المنظور الإسلامي: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة إثبات وجود الله في علم الكلام الإسلامي والفلسفة الإسلامية.

المطلب الثاني: قضية إثبات وجود الله من منظور منهجي إسلامي.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث، والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالفيلسوفين والمثالية:

أولاً: التعريف بالفيلسوفين: باركلي، وكانط:

١- التعريف بباركلي:

ولد جورج باركلي في عام ١٦٨٥م بقرية كيليرين في أيرلندا من أسرة إنجليزية الأصل بروتستانتية[(١)] المذهب، ولما بلغ السادسة عشرة دخل جامعة دبلين بأيرلندا حيث كان لمؤلفات ديكارت (١٥٩٦ -١٦٥٠م)، ولوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م)، ونيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) الحظ الأكبر في برنامج الدراسة.

وبعد سبع سنين حصل على الأستاذية في الفنون، ونشر رسالتين صغيرتين: إحداهما في الحساب، والأخرى في "بحوث رياضية متفرقة"، وعين مُدرساً بالجامعة ١٧٠٧م لليونانية والعبرية، ثم للاهوت، وبعد سنتين صار قسيساً، وقد نشر "محاولة في نظرية جديدة للرؤية" عام ١٧٠٩م تعتبر تمهيدًا لكتاب آخر أخرجه في السنة التالية عنوانه "مبادئ المعرفة الإنسانية"، حيث يفحص أهم أسباب الخطأ والصعوبة في العلوم، وأسس الشك والكفر بالله والإلحاد" وهو الكتاب المشتمل على مذهبها للامادي، وكان باركلي قد اكتشف هذا المذهب وهو في العشرين، فهو يعد من أكثر الفلاسفة تبكيرا في بناء مذهبهم[(٢)].

وفي عام ١٧١٣م قصد باركلي إلى لندن داعياً إلى مذهبه، وتعرف إلى مشاهير الكتاب، ونشر "ثلاث محاورات بين هيلاس وفيلونوس" وهي عرض أدبي للامادية.

وقد عُين أسقفاً على كلوين بأيرلندا الجنوبية حيث كانت الغالبية من الكاثوليك، فأبدى نحوهم كثيراً من التسامح، بل أبدى كثيراً من العطف على ما كانوا فيه من بؤس، فأنشأ جمعيات خيرية ومدارس عام ١٧٣٤م، وفكر في "مصرف وطني أيرلندي" ونشر رسالة في هذا الموضوع ١٧٣٧م وعني بالإصلاح الأخلاقي ودون فيه رسائل.

وفي عام ١٧٥١م فقد ابناً له وجزع جزعاً شديداً وكانت صحته آخذة في الاعتلال، فعول على الاعتزال بمدينة أكسفورد، وبعد بضعة أشهر من حلوله بها أصيب بشلل كلي أودى به[(٣)]؛ فتوفي في عام ١٧٥٣م.

وكثيراً ما ينظر لباركلي بأنه أبا الفلسفة المثالية لتأكيده وإثباته فلسفة هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م)، وكانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤م)، وجعلها ممكنة على أرض الواقع، وقد قال في ذلك ألفريد وايتهد (١٨٦١-١٩٤٧م): "إن فلسفة باركلي جعلت فلسفة كل من هيوم وكانط ممكنة"، ويجب التنبه أن باركلي جعل محور فلسفته في إثبات وجود الله وقدرته المطلقة، وهو ما دفعه لإنكار الوجود"[(٤)].

وكذلك يتبين لنا أهمية فلسفته بأنه انطلاق في نظرية المعرفة من نفس المنطلق الذي بدأ به ديكارت في قضية المنهج، ويقصد في ذلك تجنبه لأي رأي أو فكرة سابقة[٥].

٢- التعريف بإيمانويل كانط:

هو فيلسوف ألماني، ولد ومات في كونيغسبرغ (بروسيا الشرقية) (٢٢ نيسان ١٧٢٤- ١٢ شباط ١٨٠٤م)، من أسرة من الطبقة البرجوازية[٦]. الصغيرة، يرجع أصلها فيما يبدو إلى اسكتلندا، كان أبوه سراجاً وكان على قدر طفيف من اليسر، وكانت أمه من أتباع الحركة التقوية[٧] وعلى قدر كبير من الورع، وقد تركت تأثيراً عميقاً في نفسه [٨].

درس في جامعة كونيغسبرغ بألمانيا وشغف خاصة بالفلسفة والطبيعيات، وكانت دراسته منصبة على دروس الفلسفة العامة أكثر من دروس اللاهوت؛ وذلك راجع إلى تعليمه الذي تلقاه في طفولته والذي أورثه مقتاً لشكليات الدين.

يقول ويل ديورانت (١٨٨٥ - ١٩٨١م) مقررًا هذا المعنى: "وأدى به -يقصد كانط- هذا الانغماس الشديد في الدين إلى نتيجتين: أولاهما: أن أحدث هذا التطرف في العبادة في نفسه رد فعل أدى به إلى اعتزال الكنيسة في أيام نضجه ورجولته، وثانيهما: هو أنه احتفظ إلى النهاية بطابع الكآبة الذي يميز الألماني المتدين..."[٩].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا الأثر التربوي الديني الذي كان نتيجة طبيعية لنشأة الفيلسوف كانط في محيط البيئة الدينية المتشددة؛ فكان لها بالغ الأثر في تكوين شخصيته واتخاذ موقفه من الدين.

لقد عُرف كانط بنبوغه العقلي وبقدراته البارزة؛ فقد كان يدرس في أقوى المدارس في مملكة بروسيا حيث كانت تلك توصية القس شولتز لأهله أن يلحقوه بها، وقد درس أغلب اللغات في زمانه من اللاتينية واليونانية إلى العبرية والفرنسية، وبالإضافة إلى تنوع دراساته [١٠].

ثانياً: التعريف بالمثالية:

مفهوم المثالية:

المثالية في معناها الفلسفي العام تطلق على: النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجوداً مستقلاً عن الفكر [١١].

إذن من خلال هذا المعنى العام يتضح لنا أن المثالية اسم لمذهب يكون مقابلاً للمذاهب المادية، وهذا الاسم العام "المثالية" تندرج تحت ظلاله عدد من التيارات المثالية التي تتميز عن بعضها البعض في سمات معينة وأوصاف مخصصة.

والجدير بالذكر أن أول من استعمل لفظ المثالية في اللغة الفلسفية هم فلاسفة القرن السابع عشر، ولاسيما ليبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦م) الذي جعل المثالي مقابلاً للمادي [١٢].

وجاء في المعجم الفلسفي[١٣]: أن المثالية بوجه عام هي: اتجاه قوامه رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ؛ فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك، وتقابل المذهب الواقعي.

أما في القديم فإن أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) ذهب إلى أن المعاني والمُثل مفارقة في عالم خاص بها هو عالم المعقولات، وهي نماذج وأصول للعالم الحسي، فالمُثل هي وحدها الموجودات الحقيقية وليست الأشياء إلا مجرد أشباح للمثل وتلك هي المثالية الأنطولوجية.

وأما في العصر الحديث فإن كانط ذهب إلى أن المثالية هي التي تعد الظواهر مجرد تصورات لا أشياء في ذاتها، وتلك المثالية الأبستمولوجيا أي المتعلقة بالمعرفة.

ومن خلال التعاريف السابقة نخلص إلى أن المثالية هي: التي تحول كل مواضيع التجربة والأشياء إلى أنها شيء عقلي يدرك بالذهن، بخلاف الواقعيون الذين يعترفون بوجود عالم خارجي مستقل عن العقل.

أنواع المثالية:

بعد الحديث عن مفهوم المثالية أولًا ومعرفة أبعاده ومعانيه، ومن ثم الكلام عن الخصائص المشتركة بين المذاهب المثالية، فإننا نعرض هنا أبرز المذاهب المثالية لنكون فكرة عنها ونعرف أهم روادها ومؤسسيها.

أولاً: المثالية التقليدية: وهذه المثالية تعرف بالمثالية المفارقة، وهي تنسب إلى أفلاطون، الذي فرق بين عالمي المُثل والحس، وعالم المُثل هو العالم الحقيقي عنده بخلاف عالم الحس الذي لا يعدو أن يكون ظلا زائفاً.

ثانيًا: المثالية الذاتية: وهذه المثالية تنسب إلى أشهر أعلامها رينيه ديكارت، وجورج باركلي؛ ومثالية ديكارت تنطلق من الكوجيتو الديكارتي القائل (أنا أفكر إذا أنا موجود)، وأما المثالية اللامادية عند جورج باركلي فتنطلق من الاعتقاد بأن إدراك الشيء يعني وجوده، وأن وجود الأشياء ليس لها وجود مستقل عن وجود الإنسان.

ثالثًا: المثالية النقدية: -وهي محور هذا البحث- وقد ظهرت على يد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط، الذي جعل مثاليته تدور في شقين جوهريين: العقل القائم على التجربة الممكنة، والإرادة الخيرة، والمثالية عنده نقدية باعتبارها جعلت العقل مصدرها الرئيس.

رابعًا: المثالية المطلقة: وتنسب هذه المثالية إلى الفيلسوف هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) الذي هاله كم التناقض الظاهر في الفلسفة الحديثة، وربما الفلسفات السابقة أيضاً، وقامت مثاليته على

أساس القضاء على هذا التناقض من خلال نسق عقلاني أسماه المعرفة المطلقة، أو الفكرة المطلقة؛ التي تقول بأن الوعي يسبق المادة [١٤].

المبحث الأول: الألوهية عند باركلي: إنكار باركلي للجوهر المادي والمادة:

إن أهمية الفيلسوف باركلي تكمن في إنكاره للجوهر المادي ورسم بذلك مبدأ الوجود إدراك، وهذا أن المادة هي تصور أجوف يشابه الهيولى عند أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) إذ إنها تتساوى بالعدم إذا لم تتحد بها الصورة.

ولهذا عندما يذكر باركلي أن الكيفيات الأولية تشبه الأوليات الثانوية، لا يمكن أن تكون إلا بالعقل فإنه بذلك ينفي تماماً هذا التصور، ومستنده في ذلك كله مبدأ الوجود إدراك.

فهذا المبدأ الذي ذكره باركلي هو بالأساس مجموعة من الأفكار أو الكيفيات التي تدرك بالحس، وهي بذلك غير موجودة إلا بوجود العقل؛ فهو أساس الوجود، وبذلك تخرج المادة من إثبات الوجود.

فإن العقل الذي يذكره باركلي هو العقل الإلهي؛ فهذا الكون هو بمثابة أفكار لا يمكن أن تكون بمعزل عن العقل الإلهي؛ فهو الذي يتصف بالفاعلية والإبداع، والعقول المتناهية هي التي تقبل هذا الإبداع الإلهي[١٥].

إن مبدأ الوجود إدراك الذي ذكره باركلي يثبت به الوجود عن طريق العقل المتناهي ويراد به الإنسان، والعقل اللامتناهي والمقصود به الله، فهذا الذي جعله علة لهذا الوجود.

ولهذا الأمر أراد باركلي أن يجعل لهذا العالم صفة روحية لأنه أراد بفلسفته إثبات أمر ديني، إذ إنه جعل المادية سبباً من أسباب الإلحاد، ولهذا نجد أنه اعتمد وجعل قواعد مختلفة عن جون لوك وهيوم في إثبات مثاليته، ولهذا الأمر أصبحت فكرة الله والألوهية ذات أهمية كبيرة في فلسفته[١٦].

لكن ما علّة هذا الوجود حسب وجهة نظر باركلي؟ وما هي أدلة وجود الله؟

للإجابة على هذا التساؤل فلابد من معرفة الألوهية في فكر الفيلسوف باركلي؛ فنقول وبالله التوفيق:

الإله في فكر باركلي، والأدلة عليه:

أولاً: إثبات باركلي أن الله هو علة هذا الوجود وأساسه:

يقسّم باركلي الوجود على نحوين: الأول: ذكره بأنه موجود محسوس، أي الأفكار أو الأشياء المحسوسة التي نراها ونشعر بها، وهي لا توجد في حقيقتها إلا من ناحية كونها مدركة، وأما النحو الثاني: فهو ما تحدث عنه وهو العقل؛ فلا يمكن أن يكون وجود إلا به، وهذا الأمر الذي ذكره باركلي بقوله: "الوجود هو إما مدرَك أو مدرِك"[١٧].

مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (ISSN (P) 2410-5228) - (ISSN (E) 2708-4981)
المجلد: ١١، العدد: ٤٣، شهر: مايو- يونيو، عام: ٢٠٢٤م

ينكر باركلي أن للأجسام قوة فاعلة؛ لأنها بالأخير تعود إلى العقل، والعقل الذي ذكره باركلي هو العقل المطلق أي (العقل اللامتناهي)؛ فبذلك بجعل باركلي الله هو علة وجود هذا الكون.

ويمكن أن نذكر في هذا السياق أن القول باللامادية هو مذهب ميتافيزيقي يبين أن العقل البشري في علاقة مباشرة مع الله؛ فالاعتقاد بوجود عالم حسي هو الاعتقاد بوجود الله؛ لأن العقل المتناهي (الإنسان) عنده قدرة محدودة، ولا فاعلية ولا فعل في هذا الكون إلا لفاعلية العقل المطلق.

ونتيجة لهذا الأمر يعتبر الكون أثراً يشير إلى وجود علة عاقلة هي المبدع الأكبر، وهذا ما ذكره بقوله: "إن الله وحده هو صانع الأشياء جميعاً والحافظ عليها، ومن ثم فإنه الحق الذي لا يعتريه أدنى شك، والمشرّع لهذا العالم، والجنس البشري ملزم بكل روابط الواجب والمصلحة على الخضوع لقوانينه.."[١٨].

وبهذا الشكل يؤكد أن العلة الحقيقة التي يرجع لها كل شيء هي وجود الله، ويقول باركلي في هذا الصدد: "إن صورة ما لا يمكن أن تكون علة لأخرى، وإن قوة ما لا يمكن أن تكون قوة لأخرى، وإن العلة لجميع الأشياء الطبيعية هي الله وحده، ومن ثم فمن التفاهة أن نبحث بعد ذلك عن علل ثانوية، ومذهبي هذا يعطينا أنسب صورة لما يجب أن يكون عليه الله"[١٩].

ثانياً: أدلة وجود الله عند باركلي:

يؤمن باركلي بوجود الله؛ إذ يعلن عن ذلك صراحة في كتاب المحاورات؛ ولا سيما في المحاورة الثالثة في إجابة فيلونوس على تساؤل هيلاس؛ حيث يقول: "هيلاس: أليس الله هو الموجود ص ٣٣ والفاعلية الخالصة؟ فيلونوس: أقر ذلك تماما. هيلاس: ومعنى ذلك أنه ليس هناك صور ما من تشبه الله أو تمثل طبيعته؟ فيلونوس: لا وجود لهذه الصور البتة...الله والأرواح موجودات تتميز بفاعليتها المحضة، ولذلك فلا يمكن أن تدرك بالصور...ولا جدال في أن الله يعرف ويدرك جميع الأشياء"[٢٠].

ويرى باركلي أن كل ما لديه من فكرة عن الإله؛ إنما يحصل عليها عن طريق التأمل في ذاته أو نفسه...إنه لديه صورة ما عن الله مليئة بالفاعلية والتفكير، وعلى الرغم - كما يقول - من أنني لا أدرك الله عن طريق الحس؛ إلا أن لديَ لمحة عقلية عنه وأعرفه عن طريق التأمل والتفكير...وأستطيع كذلك ابتداءً من التأمل في وجودي الخاص...أن أصل إلى وجود الله بالضرورة عن طريق التفكير العقلي[٢١].

ويمكننا القول إنه بناء على كلام باركلي عن معرفته للإله أن طريق المعرفة لديه إنما يكون عن طريق النظر والتأمل الذاتي والتفكير العقلي؛ فالإله - في فكره - يُدرك عقلاً وتأملاً؛ لا حساً ومادة.

ويؤكد باركلي على قضية نسبة الخلق إلى الله؛ لأنها متوافقة وما جاء في الكتب المقدسة؛ إذ يرى: أن الله هو الخالق الوحيد المباشر لجميع الأشياء التي عزى المشركون والفلاسفة وجودها إلى الطبيعة

أو المادة أو الصدفة أو ما شابه ذلك من مبادئ غير مفكرة، وهذا هو ما تؤكده وتقرره الكتب المقدسة... فالله هو العلة المباشرة لجميع الأفعال التي في الطبيعة[٢٢].

كما يؤكد على فكرة أن الله خير محض، ولا يمكن أن يصدر عنه الشر مطلقاً؛ قائلاً: "إن اعتبارنا الله العلة أو المصدر المباشر لجميع أفعالنا لا يجعل منه مصدر الشر. حقاً إنني قد أنكرت وجود علل أخرى بجانب الأرواح ولكن هذا لا يتعارض مع منحنا الموجودات العاقلة حق استخدام ملكاتها في تنفيذ أفعالها، وهذه الملكات وإن كانت مستمدة من الله؛ إلا أنها تكون دائماً تحت تصرف الإرادة الإنسانية، الأمر الذي يجعل الإنسان مسؤولاً مباشراً عن جميع أفعاله الشريرة"[٢٣]؛ فهو هنا ينسب الشر إلى فاعله، ويجعل المسؤولية واقعة على الإنسان تجاه أي أفعال شريرة صادرة عنه.

ولكن يعترف باركلي أن الإنسان عاجز عن معرفة الله معرفة تامة كاملة؛ ويعلل ذلك؛ بأن أفكارنا ليست فاعلة، وحتى لو أنها كانت فاعلة؛ فهي فاعلة ناقصة.

وأما الله فهو فاعل كامل؛ فمعرفتنا بالله هي من قبيل معرفتنا بذواتنا بوجود العقول الأخرى؛ فلسنا نعلم عن الله إلا ما نستنتجه من الآثار فينا[٢٤].

فإن النفس إذا رأت العالم الخارجي فإنه لا محالة ستوصله إلى معرفة الله؛ ولهذا فإن باركلي يرى بوضوح أن وجود الله يعد أكثر بداهة من وجود الإنسان.

ومن دلائل وجود الله عند باركلي، وهي ثلاثة ومن الممكن أن نذكر لها أسماء تتلاءم مع مضمونها:

الدليل الأول: دليل الرمز:

العالم حسب باركلي يكون من أفكار ولغة وهذا يدل دلالة واضحة على أن هناك موجداً لهذه اللغة، ومتكلماً بها وهو الله الذي يخاطب الإنسان من خلالها؛ فالعالم أفكار، والأفكار لغة، وهنا تتجلى لنا علاقة الرمز بالمرموز إليه؛ فالله يتحدث إلى مخلوقاته عن طريق هذه الرموز، وهذه الرموز في الحقيقة ليست إلا سوى لغة يتحدث بها الله إلينا وهي لا تتضح، ولا ترمز إلى ظواهر بعينها إلا إذا دخلت إرادة الله وأظهرتنا على ذلك، وكشفت لنا هذه الرموز الغامضة.

وبهذا الأمر نستنتج وجود عظمة الخالق وهو الله؛ فنحن نتأمل هذا الكون باعتبارنا كائنات روحية عاقلة. وعلى هذا الأساس يرى باركلي أن الله يتحدث بهذه الرموز مع الإنسان، وإنما هي من موضوعات الرؤية؛ فالرؤية هي لغة العيون، وهي من جملة الإشارات التي يتحدث بها الله إلينا؛ فالطبيعة المرئية هي اللغة البصرية، وهي بذلك من جملة الرموز والإشارات التي يتحدث بها الله إلينا[٢٥].

الدليل الثاني: دليل الفاعلية:

فإن إدراك الله لا يدرك إدراكاً مباشراً، ولا نستطيع أن ندرك وجوده إلا من خلال آثاره المتمثلة في تلك الأفكار المحسوسة التي يثيرها الله في عقولنا، أي عن طريق معلولاته.

ويريد باركلي أن يؤكد فاعلية العقل الإلهي فيضع تمييزاً مبدئياً بين أفكار الحس وأفكار الخيال؛ فإن أفكار الحس ليست من صنع العقل المتناهي؛ لأن هذا الأخير تتوقف قدرته عند حد أفكار الخيال فقط؛ فقدرة التخيل تبقى فاعلية محدودة مقارنة بفاعلية الله، ويترتب على هذا أن أفكار الحس حقيقة، في حين أن أفكار الخيال وهمية[٢٦].

وعلى هذا الأمر يبقى الله هو منشئ الأفكار؛ فلا بد أن يكون لها سبب خارج عنا، ولا بد أن يكون الكائن مفكراً مريداً؛ لأنه بغير الإرادة لا يمكن أن يكون فاعلاً ومؤثراً في الناس، وبغير التفكير يستحيل أن يبث الأفكار في عقولنا.

ونلاحظ أن دليل الفاعلية بقدر ما يسلب الإرادة الإنسانية ويثبت قصورها وعجزها، بقدر ما يثبت فاعلية الإرادة الإلهية[٢٧].

الدليل الثالث: دليل الدوام:

بهذا الدليل يستدل باركلي على إثبات وجود الله من ثبات الوجود ودوامه؛ لأن دوام الوجود يقتضي دوام الإدراك طالما سلمنا بأن الأشياء أفكار لا تقوم بمعزل عن الإدراك؛ لذلك يستحيل وجود الأشياء متى كانت غير مدركة أو متى كانت مستقلة عن العقل[٢٨].

إذن يبرهن باركلي على وجود الله من خلال فعل الإدراك؛ فالله هو الركيزة الأساسية للوجود؛ فالوجود يبقى دائماً مستمراً؛ لذلك فإن باركلي يحرص على تفسير عبارة: " إن وجود الأشياء هو كونها مدركة"، أي إن الأشياء لا توجد بفضل إدراكنا لها، إذ إنها تدركها روح أخرى، ويقصد بالإدراك جميع الأذهان على الإطلاق، والذهن الإلهي بوجه خاص، وبهذا يظل استمرار وجودها مضموناً[٢٩].

إذن فالله في فلسفة باركلي يمثل حجر الزاوية والعلة الحقيقية في عملية الإدراك؛ بدليل أن المادة مرهونة بوجود عقل إلهي يدركها؛ لأنه هو المدرك الأكبر لكل ما في الكون.

المبحث الثاني: الألوهية عند كانط: وجود الله عند كانط:

لكانط في الاستدلال على وجود الله طريقان:

الأول: ما سلكه في كتابه: "نقد العقل المحض" أو ما يسمى بـ"نقد العقل الخالص"، وهو الذي اتجه فيه إلى نقد أي دليل عقلي على وجود الله؛ لكنه في النهاية اتجه إلى العقل العملي الأخلاقي كي يستدل من خلاله على ضرورة وجود الكائن الأسمى، ويرى كانط أنه يوجد ثلاث طرق فقط؛ للتدليل

على وجود الله؛ بناءً على العقل الاعتباري...وهي: الدليل الأول: الدليل اللاهوتي الطبيعي، والثاني: الدليل الكُسْمُولوجي، والثالث: الدليل الأنطولوجي(٣٠).

ويبدأ بالدليل الأنطولوجي؛ الذي يرى أنه يتمثل في وجود فكرة الموجود الكامل (الإله الكامل) في أذهاننا، ومن ثم ينبغي أن يتحقق هذا الموجود في الواقع أيضاً؛ لأن وجوده في الذهن والواقع هو أكمل من وجوده في الذهن فحسب(٣١).

وينتهي كانط إلى نقد ذلك الدليل، وعدم اقتناعه به قائلاً: "بهذا الدليل الأنطولوجي (الديكارتي) الشهير جداً، والذي يزعم التدليل بمفاهيم على وجود كائن أسمى، لا نفعل سوى أن نُضيَع كل جهدنا وعملنا، وليس بوسع أي إنسان أن يصبح أكثر غنى في المعارف بمجرد أفكار مثلما ليس بوسع تاجر أن يصبح أكثر غنى لو أضاف، بقصد زيادة ثروته، بعض الأصفار إلى دفتر حسابه"(٣٢).

ثم ينتقل إلى الدليل الكُسْمُولوجي، والذي يصوغه بقوله: إن وُجِد شيء فيجب أن يُوجد أيضاً كائن ضروري ضرورة مطلقة، والحال أني أنا نفسي أُوجد على الأقل، إذن يُوجد كائن ضروري ضرورة مطلقة (٣٣).

لكنه يعترض عليه أيضاً، ولا يرتضيه، ويرى امتناع ذلك الدليل على وجود الله.

ثم ينتقل إلى الدليل اللاهوتي الطبيعي، وفكرة هذا الدليل عند كانط تقوم على أن العالم يخضع لنظام دقيق ومنتظم، ومن ثم فلابد من وجود كائن أسمى أو عقل مدبر أو منفذ هو صانع هذا النظام الدقيق المنتظم(٣٤).

وينتهي كانط إلى رفض ذلك الدليل؛ لأنه من وجهة نظره يتأسس على الدليل الكُسْمُولوجي الذي يتأسس بدوره على الدليل الأنطولوجي...وإذا كان ثمة من دليل ممكن على قضية بمثل هذا العلو فإن الدليل الأنطولوجي، المستمد حصراً من مفاهيم عقلية محضة، هو الدليل الوحيد الممكن (٣٥).

رفض كانط هذه الأدلة الثلاثة؛ التي يستدل بها اللاهوتيون على وجود الله لكونها صعبة الصياغة بطبيعتها، كما أنها لا تستند على أساس قوي.

والثاني: ما ذكره في كتابه: "نقد العقل العملي" من أنه يؤمن بوجود الله، ويرى أنه من الضروري الاعتقاد بوجوده، واستدلاله على ذلك ينطلق من إيمانه القوي بالقانون الأخلاقي، والسعادة التي تتناسب مع الضرورة الأخلاقية؛ إذ يرى أن هذا الأمر "يقود إلى افتراض وجود علة كفء لهذا المعلول؛ أي يجب أن يطالب بوجود الله بصفته مرتبطاً ارتباطاً ضرورياً بإمكانية الخير الأسمى...ينبغي أن نسعى وراء تحقيق الخير الأسمى...وبمقتضى ذلك تتم مصادرة وجود علة للطبيعة بأسرها متميزة عنها، تحتوي على مبدأ هذا الارتباط، أي التوافق الدقيق بين السعادة والضرورة الأخلاقية...إن العلية الأعلى للطبيعة من حيث يجب افتراضها بخصوص الخير الأسمى، هي كائن، هو، بالفهم

والإرادة علة (بالتالي صانع) الطبيعة، أعني الله. ينتج عن ذلك أن مصادرة إمكانية الخير الأسمى المستنبط (العالم الأفضل) هي في الوقت نفسه مصادرة حقيقية خير أسمى أصيل، أي وجود الله"(٣٦).

فإيمان كانط بوجود الله مبني عنده على القانون الأخلاقي والسلوك النابع من النفس الإنسانية والتي بطبيعتها تسلم بالوجود الإلهي.

إن كانط يؤكد على ذلك بالربط الضروري والحتمي بين الأخلاق والدين، ويقوده ذلك إلى الاعتراف والإيمان بوجود الله؛ لكونه فكرة نابعة من العقل المجرد؛ حيث يقول: "يقودونا القانون الأخلاقي عبر مفهوم الخير الأسمى، بوصفه موضوع العقل المحض العملي وغايته النهائية، إلى الدين، أي إلى معرفة كل الواجبات على أنها أوامر إلهية، لا على أنها عقوبات، أي إنه قد تم اختيارها بوصفها أحكاماً متوقفة بحد ذاتها على إرادة غريبة، بل بوصفها قوانين لكل إرادة حرة من أجل ذاتها، ولكن مع ضرورة أن يُنظر إليها مع ذلك على أنها أوامر الكائن الأسمى"(٣٧).

ويؤكد ذلك أيضاً بقوله: "إن القانون الأخلاقي – كشرط شكلي عقلي لاستعمال حريتنا – يُلزمنا هو بذاته فقط، من دون أن يكون متعلقاً بأية غاية كشرط مادي؛ لكنه مع ذلك يعين لنا أيضاً – وذلك قبلياً – غاية نهائية يلزمنا بالسعي نحوها: وهي الخير الأسمى الممكن بواسطة الحرية في العالم.

والشرط الذاتي الذي يستطيع الإنسان...أن يضع لنفسه بموجبه غاية نهائية تحت القانون المذكور أعلاه، هو السعادة...يجب علينا أن نُقر بوجود علة أخلاقية للعالم (مبدع العالم) بحيث نستطيع نحن أن نضع أمام أنفسنا غاية نهائية بحسب القانون الأخلاقي؛ وبقدر ما إن هذا الأخير ضروري، بالقدر عينه (أي بالدرجة عينها وللسبب عينه) علينا أن نُقر بأن الأول ضروري أيضاً، أي إن الله موجود"(٣٨).

إن رؤية كانط للوجود الإلهي إنما تكمن في أن "الاعتقاد بوجود الله يصدر من إيقاننا بأن السعادة يجب أن تصحب الفضيلة، وبأن السعادة مصاحبة للأخلاقية، وأن النعيم يتوج التزام الواجب"(٣٩).

ويصف كانط الإله بصفات كثيرة؛ مثل: "القدرة، والعلم، والحضور، والعطف...كلي القدرة، العالم بكل شيء، الحاضر في كل مكان، والكلي العطف"(٤٠). ثم يصفه بصفات يرى أنها خاصة به فقط؛ حيث يقول: "ثلاث صفات تُحمل على الله وحده دون سواه...وهي كلها أخلاقية: هو وحده قدوس، وحده المبارك، ووحده الحكيم"(٤١).

لكن كانط يرى أن وجود الله مجرد فكرة أو مصادرة في العقل، تنظيمية على مستوى العقل النظري، تكوينية على مستوى العقل العملي، ولكنها لا تتجاوز كونها مسلمة أو مصادرة للعقل العملي.

فإن كل وجود عند كانط قابل للمعرفة والإدراك، وهو الوجود المتعين في المكان والزمان، وذلك يلزم عنه بالضرورة أن شروط المعرفة النظرية يستحيل تطبيقها على الله، وأن الله ليس موضوعاً للمعرفة، ذلك أن معرفتنا تستمد من منبعين رئيسين في العقل:

الأول: ملكة الحساسية، وهي قوة تقبل الانطباعات أو الإحساسات.

الثاني: ملكة الفهم، وهي القوة التي بواسطتها تعرف الإحساسات.

أي إن الفهم قوة معرفة، وهو القوة المنتجة للمقولات، ومعنى هذا أن العقل لا يمكن أن يعرف بدون الربط بين الحدوس والمقولات[٤٢].

وكذلك يبرر كانط أخلاقيات العصر الجديد؛ حيث إن المبادئ المطروحة هي مجرد مبادئ صورية أو مصادرات؛ فقد أصبحت الأخلاق هي المبرر وهي الأساس للتسليم بوجود الله وخلود الروح.

وتلك الموضوعات الأساسية في الدين قد جعلها كانط مجرد مصادرات أو مسلمات للعقل العملي، ومن ثم صار الدين ديناً أخلاقياً، وهذا القول يتضمن في مغزاه ومعناه استبعاده لوجود الله بالمعنى الديني من حيث هو الخالق والمبدع والفعال في الطبيعة والمجتمع والأخلاق، ولم يعد حقيقة موضوعية لها تأثيرها في صميم الواقع، بل مجرد مصادرة أو مسلمة في العقل تخلو من أية حقيقة موضوعية أو واقعية[٤٣].

بنظر كانط إلى الإنسان أنه لا يمكنه أن يعيش حياته السوية إلا إذا آمن بمجموعة من المبادئ والقيم التي تهديه إلى السلوك الأخلاقي القويم.

ويعود نقل كانط لهذه الموضوعات من التفكير العقلي النظري إلى العملي لسببين: أولهما: أنه مهما تناقش الفلاسفة حول هذه الموضوعات فإنهم لن يصلوا بصددها إلى اليقين إثباتا أو نفيا.

وثانيهما: أننا نحتاج في حياتنا الأخلاقية العملية إلى الاعتقاد في وجود الله ووجود النفس. فعلى مبدأ كانط ما لا نستطيع الوصول إليه عن طريق العقل النظري فإننا نصل إليه عن طريق السلوك العملي. [٤٤].

ومن هنا ندرك أن الفيلسوف كانط رأى أن الوجود الإلهي هو العلة الحرة والإرادة الخيَرة؛ التي تعني النية الطيبة؛ والتي هي خير في ذاتها، والضرورة الأخلاقية التي تضمن بلا شك حرية الإرادة وصحة المسؤولية، حتى تتحقق الفضيلة والسعادة للإنسانية.

وبذلك يتضح كيف أن كانط قد ربط بين الأخلاق والدين برباط وثيق؛ لكون فلسفته تقوم على الأخلاق والدين، وإن كانت الأخلاق عنده قد اعتراها قصوراً ما؛ كونها تعتمد اعتماداً مطلقاً على العقل وفقط!

المبحث الثالث: مقارنة بين باركلي وكانط في إثبات جود الله:

إذا أردنا عقد مقارنة بين إثبات وجود الله عند كل من باركلي وكانط؛ فإنه يتضح لنا الآتي:

إن كلاً من باركلي وكانط يتسمان بالتسليم بوجود الله، غير أن مبرر التسليم بوجود الله عند باركلي ذو هدف مغاير لما يصبو إليه كانط.

على النقيض تماماً من أهداف كانط تبدو أهداف فلسفة باركلي في عمومها، تلك الأهداف التي تعتبر في مغزاها ومضمونها الحقيقي دعامة للدين والحياة الروحية، واتخاذه أساساً للحياة والمجتمع.

لذلك فإن الحركات والتطورات الاجتماعية التي دعمتها فلسفة كانط، هي تلك الحركات التي كان يخشاها باركلي مدركاً خطورتها على الدين وسيادته في الفكر والمجتمع.

ولذلك كرس باركلي جهده وفلسفته للحد من هذه التطورات حتى تعود للدين السيادة في قيادة وحكم حركة الواقع، ولما كانت أبعاد الواقع متعددة، وضح لنا كيف كان باركلي على اختلاف تلك الأبعاد يجعل الله أساسا لها[٤٥].

ويبدو أن اهتمام باركلي بالدين؛ والذي كان عاملاً رئيساً على تشجيعه للعمل والاشتغال بالفلسفة؛ وكونه رجل دين وأسقفاً لكنيسة، وإنكاره للمادة ورده على الفلسفة المادية؛ كل ذلك كان من العوامل الرئيسة التي جعلت فلسفته تنطلق من ناحية روحية ودينية، وجعل الجانب الإلهي المحور الرئيس في فلسفته.

ومغزى نظرية الوجود ما هو إلا تبرير نظري للحد من حركة الواقع تلك الحركة التي جاهد كانط ليطلق لها العنان واستبعد كل المطلقات حتى لا تسيطر أو تتحكم في حركة الواقع، بينما باركلي يربط الواقع بالإرادة الإلهية فهي القوة الوحيدة الفاعلة في الوجود والحاكمة والمدبرة حركة الواقع، وهي التي بيدها إرادة التغيير وخير البشر.

ولذلك تعتبر نظرية المعرفة امتداداً ضرورياً لنظرية الوجود حيث كل معرفة ممكنة بالنسبة للعقل البشري هي الأفكار المحسوسة التي يثيرها الله في عقولنا أو يطبعها في حواسنا وفقاً لإرادته[٤٦].

إن أساس ما ترتكز عليه فلسفة كانط إنما يتمحور حول الجانب الأخلاقي، والعمل على تحقيق الإرادة الحرة المرتبطة بالقانون الأخلاقي.

المبحث الرابع: أدله إثبات وجود الله تعالى في المنظور الإسلامي :

المطلب الأول: أدله إثبات وجود الله في علم الكلام الإسلامي والفلسفة الإسلامية:

١- إثبات وجود الله في علم الكلام الإسلامي:

استدل علماء الكلام بأدلة كثيرة لإثبات وجود الله تعالى، ومن أهمها ما يلي:

الدليل الأول: دليل الخلق والاختراع: ومضمونه: أن وجود المخلوقات بعد العدم دليل على وجود الخالق؛ وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق قال تعالى: (أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ) (الطور: ٣٥)، ويرتكز هذا الدليل على فكرتين بديهيتين:

الأولى: حدوث المخلوقات، وهذا معلوم بالمشاهدة في آحاد الحيوان والنبات، وبالضرورة العقلية في سائر المخلوقات؛ لأنها مسخرة، والمسخر مخترع من قبل غيره ضرورة.

والثانية: حاجة المحدَث إلى محدِث: وهذه الفكرة معلومة بضرورة العقل؛ فالمحدَث لابد له من محدِث لا يفتقر إلى غيره، وهو الله تعالى.

وهذا ما يؤكده باركلي عندما قسّم الوجود على نحوين: الأول: ذكره بأنه موجود محسوس، أي الأفكار أو الأشياء المحسوسة التي نراها ونشعر بها، وهي لا توجد في حقيقتها إلا من ناحية كونها مدركة، وأما النحو الثاني: فهو ما تحدث عنه وهو العقل؛ فلا يمكن أن يكون وجود إلا به، وهذا الأمر الذي ذكره باركلي بقوله: "الوجود هو إما مدرَك أو مدرِك"[٤٧].

ينكر باركلي أن للأجسام قوة فاعلة؛ لأنها بالأخير تعود إلى العقل، والعقل الذي ذكره باركلي هو العقل المطلق أي (العقل اللامتناهي)؛ فبذلك يجعل باركلي الله هو علة وجود هذا الكون

الدليل الثاني: دليل العناية: ومضمونه: أن ما في الوجود من مظاهر العناية بالمخلوقات عامة، والإنسان خاصة، هي دليل على وجود الخالق. ويدخل في هذا الدليل كثير من صور الاستدلال، منها:

أ- دلالة الإتقان: فكل مخلوق يحمل من كمال الإتقان ما يدل على وجود خالقه وكمال ذاته وصفاته، قال تعالى (وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ) (النمل: ٨٨).

ب- دلالة التناسق: فالعالم كله يخضع لسنن كونية متناسقة، ثمرتها الاتساق بين المخلوقات، والاتساق مع وجود الإنسان، قال تعالى (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)(النحل: ١٢). وفي هذا دلالة واضحة بأن هذا التناسق الموجود في هذا الكون وهو آية تدل على وجود خالق لهذا الكون.

نجد عند المقارنة بين ما سبق وبين ما قرره كانط عند نقده للدليل اللاهوتي الطبيعي، وفكرة هذا الدليل عند كانط تقوم على أن العالم يخضع لنظام دقيق ومنتظم، ومن ثم فلابد من وجود كائن أسمى أو عقل مدبر أو منفذ هو صانع هذا النظام الدقيق المنتظم[٤٨].

وينتهي كانط إلى رفض ذلك الدليل اللاهوتي الطبيعي، ويخالف وجهة النظر هذه لأنه يرى بأن هذا الدليل يتأسس على الدليل الكُسْمُولوجي الذي يتأسس بدوره على الدليل الأنطولوجي...وإذا كان

ثمة من دليل ممكن على قضية بمثل هذا العلو فإن الدليل الأنطولوجي، المستمد حصراً من مفاهيم عقلية محضة، هو الدليل الوحيد الممكن وهذا بالتأكيد حسب النهج الذي اختطه لنفسه.

٢- أدلة إثبات وجود الله في الفلسفة الإسلامية:

أ- دليل الإمكان والوجوب:

وأبرز من قال بهذا الدليل من فلاسفة الإسلام: الفارابي (٨٧٤-٩٥٠م)، وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م)، حيث قسم كل منهما الموجود إلى: واجب الوجود، وممكن الوجود، واستدلا على وجود الواجب بحدوث الممكن، يقول الفارابي: "إن الموجودات على ضربين، أحدهما: إذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده، ويسمى الممكن الوجود، والثاني: إذا اعتبر ذاته وجب وجوده، ويسمى واجب الوجود، وممكن الوجود إذا فرضناه غير موجود لم يلزم منه محال؛ فلا غنى بوجوده عن علة، وإذا وجب صار واجب الوجود بغيره (فهو) ممكن الوجود بذاته. واجب الوجود بغيره...والأشياء الممكنة لا يجوز أن تمر بلا نهاية؛ بل لابد من انتهائها إلى شيء واجب هو الموجود الأول"(٤٩).

ويقول ابن سينا: "لا شك أن هنا وجوداً، وكل وجود فإما واجب وإما ممكن؛ فإن كان واجباً فقد صح وجود الواجب وهو المطلوب، وإن كان ممكناً فإنا نوضح أن الممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود"(٥٠).

ويقول في موضع آخر عن تعريف واجب الوجود وممكن الوجود: " أما واجب الوجود فهو الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال، وأما ممكن الوجود فهو الذي متى فرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه محال؛ فالواجب الوجود هو ضروري للوجود، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه، أي لا في وجوده ولا عدمه"(٥١).

ويتكون دليل الإمكان والوجوب من مقدمات ثلاث هي:

المقدمة الأولى: أنّ موجودات هذا العالم ممكنة الوجود، وهي ذات لا تقتضي الوجود؛ إذ لو كان واحد منها واجب الوجود لتم إثبات المطلوب.

المقدمة الثانية: كل ممكن الوجود فهو محتاج في وجوده إلى علّة تمنحه الوجود.

المقدمة الثالثة: استحالة الدور والتسلسل في العلل. النتيجة: أنّ كلّ واحد من موجودات هذا العالم _ الممكنة الوجود حسب الفرض يحتاج إلى العلّة الفاعلية، ويستحيل أن تمتد سلسلة العلل إلى ما لا نهاية، ولا يمكن أيضاً الدور؛ إذن لابدّ أن تنتهي سلسلة العلل من ناحية البدء إلى علّة ليست محتاجة إلى علّة، وهي التي نسميها واجب الوجود، وهو المطلوب.

ب- دليل العناية والغاية:

استدل بعض فلاسفة الإسلام على وجود الله بدليل العناية والغاية، ويظهر هذا الدليل بوضوح عند كل من الكندي (٨٠١ - ٨٧٣م) والفارابي، يقول الكندي: "إن في الظاهرات للحواس، أظهر لك الخفيات لأوضح الدلالة على تدبير مدبر أول أعني مدبراً لكل مدبر، وفاعلاً لكل فاعل، ومكوناً لكل مكون، وأولاً لكل أول، وعلة لكل علة، لمن كانت حواسه الآلية موصولة بأضواء عقله، وكانت مطالبه وجدان الحق وخواصه الحق، وغرضه الإسناد للحق واستنباطه والحكم عليه، والمزكى عنده في كل أمر شجر بينه وبين نفسه العقل"(٥٢).

ويقول الفارابي: "لك أن تلحظ عالم الخلق وتنظر فيه فترى فيه إمارات الصنعة؛ فتعلم أنه لابد من صانع بالذات غير مصنوع، ولك أن تلحظ عالم الوجود المحض، وتعلم أنه لابد من وجود بالذات، وتعلم كيف ينبغي أن يكون عليه الوجود بالذات؛ فإن اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل، تعرف بالنزول أن هذا ليس ذلك، وتعرف بالصعود أن هذا (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: ٥٣). (٥٣).

ج- دليل الاختراع:

من الأدلة كذلك على وجود الله دليل الاختراع، وهو من أوضح الأدلة على وجود الله، ويظهر هذا الدليل بجلاء عند الفيلسوف الأندلسي أبي الوليد بن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) حيث يقول: "وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السموات، وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس: أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ) (الحج: ٧٣). فإنا نرى أجساداً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم أن ههنا مُوجداً للحياة ومُنعماً بها وهو الله تبارك وتعالى، وأما السماوات فنعلم من قبل حركتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما ههنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

وأما الأصل الثاني: فهو أن كل مختَرع فله مخترِع؛ فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مُختَرِعاً له"(٥٤). ومن هنا يتضح جلياً أن النتيجة التي رتبها ابن رشد على الأصلين اللذين ذكرهما في هذا الدليل؛ هي: أن لكل موجود فاعل مُخترع له، وبذلك يثبت وجود الله بما يُسمى بدليل الاختراع.

ويؤكد باركلي على قضية نسبة الخلق إلى الله؛ لأنها متوافقة وما جاء في الكتب المقدسة؛ إذ يرى: أن الله هو الخالق الوحيد المباشر لجميع الأشياء التي عزى المشركون والفلاسفة وجودها إلى الطبيعة

أو المادة أو الصدفة أو ما شابه ذلك من مبادئ غير مفكرة، وهذا هو ما تؤكده وتقرره الكتب المقدسة... فالله هو العلة المباشرة لجميع الأفعال التي في الطبيعة.

ومن هنا نلاحظ أن فكرة الألوهية عند الفيلسوف باركلي تتسم بصبغة دينية واضحة بينة لأن الهدف الأساسي من فلسفته هو هدف ديني، إذ التمس في المادية سببا للإلحاد، ومن ثمّ أسّس باركلي مذهبه التجريبي على أسس روحية تختلف عن تلك الأسس الموجودة لدى الفلاسفة التجريبيين ، كذلك يتضح لنا من خلال رفض باركلي الإيمان بوجود علّل تفسر الكون، غير علّة واحدة وهي الله، فالله خالق وصانع هذا الكون. ومن يقر بوجود المادة والعلل الميكانيكية يعتبر عدوا للدين، لهذا لا بد من التسليم بالعلل الروحية، على أننا واجدون أن إثبات وجود الله تعالى في المفهوم الإسلامي يندرج تحت إطار الإيمان بالغيب. وهذا يختلف عما جاء به الفيلسوفان من أدلة.

المطلب الثاني: قضية إثبات وجود الله من منظور منهجي إسلامي:

قضية إثبات وجود الله كجزء من الإيمان بالغيب:

إن قضيه إثبات وجود الله تعالى في المفهوم الإسلامي تندرج تحت إطار الإيمان بالغيب، والإيمان لغة: هو التصديق؛ كما في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف(عليه السلام): (قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ) (يوسف: ١٧)،أما الغيب لغة فهو: ما غاب عن حواس الإنسان، أما الإيمان بالغيب اصطلاحاً فهو: الإقرار والتسليم بأن الوجود لا يقتصر على الوجود الشهادي، المحدود بالحركة خلال الزمان والتغيير في المكان، ويمكن للإنسان أن (يشاهده) بحواسه وبالتالي يدركه بوعيه، ويشمل الوجود التسخيري (الطبيعة) والاستخلافي (الإنسان). بل يمتد الوجود ليشمل الوجود الغيبي (عالم الغيب) بشكليه المحدود "غير القائم بذاته "كوجود الملائكة"، والمطلق "القائم بذاته وكل وجود سواه قائم به" وهو وجود الله تعالى. فهو وجود (غائب) عن حواس الإنسان، وبالتالي عن إدراكه وتصوره. إذن المعنى الاصطلاحي للإيمان بالغيب قائم على تسليم وإقرار العقل بصحة فكرة أو اعتقاد، لا يمكن إثباتها بالتجربة والاختبار العلميين؛ لأن الوجود موضوع الفكرة أو الاعتقاد غير محدود بالزمان أو المكان، أي وجود غيبي.

الرد على دعوى تعارض الإيمان بالغيب مع العلم:

وهنا يتضح لنا خطأ قول منكري وجود الله تعالى بأن الإيمان بالغيب (والذي يتضمن قضية إثبات وجود الله تعالى) يتناقض مع العلم، لأن كلاً من الإقرار بوجود الله تعالى (أي الإيمان)، وإنكار وجوده تعالى (أي الكفر أو الإلحاد) هو اعتقاد موضوعه وجود غيبي، وبالتالي لا يمكن إثباته بالتجربة والاختبار العلميين.

الإيمان بالغيب والاستدلال:

كما أن المفهوم الإسلامي يرفض الإقرار والتسليم بالوجود الغيبي (عالم الغيب) (المتضمن لوجود الله تعالى) بدون برهان أو دليل، ويعتبر أن هذا التسليم والإقرار هو الخطوة الأخيرة من شكل من أشكال الاستدلال العقلي (الانتقال من مقدمة عقلية إلى نتيجة عقلية)، القائم على الاستدلال بالوجود الشهادي المحدود (الكون)، على الوجود الغيبي المطلق (المتضمن لوجود الله تعالى)، قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة ١٦٤).

وبناءً على هذا فان المفهوم الإسلامي يقوم على البرهنة على وجود الله تعالى، ولكنه يستند في برهنته على إثبات وجود الله تعالى على شكل من أشكال الاستدلال الذى يسبقه شكل من أشكال الاستقراء (الانتقال من مقدمه حسية إلى نتيجة عقلية) مضمونه النظر في الكون، وقال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) (الحج: ٤٦)، وهنا نجد أحد أوجه الاختلاف بين المفهوم الإسلامي والفلسفة الغربية العقلية منذ أرسطو؛ لأنها حاولت البرهنة على وجود الله تعالى استناداً إلى شكل من أشكال الاستدلال الذى لا يسبقه أي نوع من أنواع الاستقراء؛ فجاءت براهينها مستندة إلى معيار الاتساق دون معيار التطابق مع الواقع.

التمييز بين عالم الشهادة وعالم الغيب: كما يميز المفهوم الإسلامي بين وجود (عالم الشهادة) و(عالم الغيب) و-خصائص كل منهما ؛ **فالأول:** يمكن للعقل أن يدركه ويبرهن عليه .

أما الثاني: فلا يمكن للعقل أن يتصوره إلا بالوحي، لذا تضمن الإيمان بالغيب الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، قال تعالى: (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٨٥)، وفي الحديث: (تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله) (٥٥). وهنا نجد أحد أوجه الاختلاف بين المفهوم الإسلامي والفلسفة الغربية العقلية التي لم تتميز في برهنتها على وجود الله تعالى بين الوجود والماهية، أي ترى إمكانية إدراك أو تصور العقل لوجود وماهية عالم الغيب،لأنها تنظر إلى العقل باعتباره وجود مطلق، وليس فاعلية معرفية محدودة تكوينيا بالسنن الإلهية في إدراكه لعالم الشهادة، وتكليفيا بالوحي في إدراكه لعالم الغيب كما في المفهوم الإسلامي.

الإيمان بالغيب لا يناقض العلم أو العقل:

إن الإيمان بالغيب (والذي يتضمن إثبات وجود الله تعالى) في المفهوم الإسلامي لا يترتب عليه إنكار الوجود الموضوعي (الحقيقي) للوجود الشهادي أو انضباط حركته بسنن إلهية لا تتبدل

"السببية" (ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا) (فاطر: ٤٣)، أو إنكار كون العقل هو وسيلة لمعرفته؛ لأنه اعتقاد موضوعه وجود غيبي مطلق عن قيود الزمان والمكان، مفارق للوجود الشهادى المحدود بالزمان والمكان.

وأخيراً فإن المفهوم الإسلامي يقوم على أسبقية الإيمان بالغيب كأساس للدين (أو الميتافيزيقا بالمصطلح الفلسفي الغربي) على كل نشاط علمي أو عقلي أو فلسفي، ذلك أن العلم بما هو الكشف عن القوانين (السنن) التي تحكم حركة الأشياء والظواهر والإنسان، يقوم على التجربة والاختبار العلميين؛ ولكنه في ذات الوقت يقوم على مسلمات سابقة على التجربة؛ مثل: الموضوعية والحتمية...كما أن كل مذهب فلسفي إنما ينطلق من مسلمات غير قابلة للنفي أو الإثبات بالتجربة العلمية.

نلاحظ إن باركلي وكانط يتسمان كلاهما بالتسليم بوجود الله، غير أن مبرر التسليم بوجود الله عند باركلي ذو هدف مغاير لما يصبوا إليه كانط، وبهذا يتضح الفرق بينهما، أما إثبات وجود الله تعالى في المفهوم الإسلامي يندرج تحت إطار أساسي وهو الإيمان بالغيب بجانب التأمل في العالم المادي المشاهد وذلك يؤكد أن الإيمان بالغيب (والذي يتضمن إثبات وجود الله تعالى) في المفهوم الإسلامي لا يترتب عليه إنكار الوجود الموضوعي (الحقيقي) للوجود الشهادي أو انضباط حركته بسنن إلهية لا تتبدل.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه...وبعد.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج؛ أهمها ما يلي:

١- أن كلاً من باركلي وكانط ينتميان إلى مدرسة الفلسفة المثالية؛ والتي تعني: النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجوداً مستقلاً عن الفكر.

٢- إذا كانت المدرسة الفلسفية الإنجليزية تُعنى بالفلسفة المادية؛ لكونها لا تؤمن إلا بالواقع الحسي المادي؛ إلا أن الفلسفة المثالية قد تسللت إلى الفكر الإنجليزي فبرز فلاسفة إنجليز يحاربون المادية ويؤمنون بالمثالية كالفيلسوف باركلي.

٣- أن مبدأ الوجود الإدراكي الذي ذكره باركلي يثبت به الوجود عن طريق العقل المتناهي ويراد به الإنسان، والعقل اللامتناهي والمقصود به الله، فهذا الذي جعله علة لهذا الوجود. ولهذا الأمر أراد

باركلي أن يجعل لهذا العالم صفة روحية لأنه أراد بفلسفته إثبات أمر ديني، إذ إنه جعل المادية سبباً من أسباب الإلحاد.

٤- اعتمد باركلي في فلسفته لإثبات الفلسفة المثالية على قواعد مختلفة عن جون لوك وهيوم؛ ولهذا الأمر أصبحت فكرة الله والألوهية ذات أهمية كبيرة في فلسفته.

٥- قسم باركلي الوجود إلى نوعين: الأول: ذكره بأنه موجود محسوس، أي الأفكار أو الأشياء المحسوسة التي نراها ونشعر بها، وهي لا توجد في حقيقتها إلا من ناحية كونها مدركة.

وأما النوع الثاني: فهو ما تحدث عنه وهو العقل؛ فلا يمكن أن يكون وجود إلا به، وهذا الأمر الذي ذكره باركلي بقوله: "الوجود هو إما مدرَك أو مدرِك".

٦- استدل باركلي على إثبات وجود الله بأدلة كثيرة؛ مثل: دليل الرمز، ودليل الفاعلية، ودليل الدوام.

٧- يمكن أن نستنتج من إنكار باركلي الشديد على الماديين أنه ذكر الارتباط بين الإلحاد وبين فكرة وجود الجوهر المادي، وكأن الاعتقاد السائد في الموقف الطبيعي بوجود مثل هذا الجوهر يؤدي بدوره إلى الإلحاد، فالملحدون في رأيه يجدون في هذه الفكرة عوناً كبيراً، ثم بعد ذلك يثبت باركلي فكرة الله عنده.

٨- يؤمن كانط بأن وجود الله مجرد فكرة أو مصادرة في العقل تنظيمية على مستوى العقل النظري، ولكنها تكوينية على مستوى العقل العملي، ومن ثم لا تتجاوز كونها مسلمة أو مصادرة للعقل العملي.

٩- لاحظ كانط على معاصريه أمرين مهمين؛ أولهما: مغالاتهم في الإعلاء من قدرة العقل، وثانيهما: أنهم نظروا إلى العالم الطبيعي على أنه عالم التغير والمادة المحسوسة فقط، وأنه لا يشتمل على الكلي والضروري.

١٠- رفض كانط الأدلة الثلاثة التي استدل بها اللاهوتيون على وجود الله؛ لكونها صعبة الصياغة بطبيعتها، كما أنها لا تستند على أساس قوي.

١١- أن باركلي وكانط يتسمان كلاهما بالتسليم بوجود الله، غير أن مبرر التسليم بوجود الله عند باركلي ذو هدف مغاير لما يصبوا إليه كانط، وبهذا يتضح الفرق بينهما.

١٢- استدل علماء الكلام بأدلة كثيرة لإثبات وجود الله تعالى؛ مثل: دليل الخلق والاختراع، ودليل العناية.

١٣- كان لفلاسفة الإسلام دور كبير في محاولة إثبات وجود الله بالأدلة المختلفة؛ مثل: دليل الإمكان والوجوب، ودليل العناية والغاية، ودليل والاختراع.

١٤- أن إثبات وجود الله تعالى في المفهوم الإسلامي يندرج تحت إطار الإيمان بالغيب.

١٥- أن دعوى تعارض الإيمان بالغيب مع العلم أو العقل دعوى باطلة لا دليل عليها، ولا برهان معها؛ وإنما هي كذب محض وافتراء لا أساس له من الصحة، والمفهوم الإسلامي يقوم على أسبقية الإيمان بالغيب كأساس للدين.

هوامش البحث:

(١) البروتستانتية: حركة دينية، نشأت عن حركة الإصلاح الديني ومبادئها...وتنطوي على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية، وإعطاء الفرد حرية التقدير، والحكم على الأمور والتسامح الديني. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة،(٢/ ٦٨٧) .

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٦٣ – ١٦٢.

(٣) فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ١٦٤.

(٤) جورج باركلي بين الدين والفلسفة، يامن نوح، ص ٣.

(٥) الفلسفة المثالية، يوسف حامد الشين، ص ٣٩٧.

(٦) البرجوازية: الطبقة التي تشكلت على أنقاض الطبقة الإقطاعية من تجار المدن وأغنيائها ومن المثقفين الذين ساهموا فكرياً في القضاء على الطبقة الإقطاعية...أثناء قيام الثورة الفرنسية. ينظر: المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، ص ٩٧.

(٧) حركة التقوية؛ هي حركة دينية لوثرية تنتسب إلى المذهب البروتستانتي المسيحي نشأت منذ نهاية القرن السابع عشر للميلاد واستمرت إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ومؤسسها هو فيليب شبينر.

(٨) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥١٨.

(٩) قصة الفلسفة، ويل ديورانت، ص ٣٢٦.

(١٠) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ١٩٥.

(١١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص ٣٣٧.

(١٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٣٧.

(١٣) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص ١٧٠ .

(٤) ينظر: المرجع السابق، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص٦١ وما بعدها.

(١٥) فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ٢٠– ٢١.

(١٦) فكرة الألوهية في الفلسفة الإنجليزية، محمد رضا نقاز، ص.١٧٩.

(١٧) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص.١٧٨.

(١٨) الله في الفلسفة الحديثة، كامل فؤاد، ص.١٦٣.

(١٩) فكرة الألوهية في الفلسفة الإنجليزية، ص.١٧٩، وينظر: باركلي، يحيى الهويدي، ص٣٣

(٢٠) المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس، ترجمة: يحيى هويدي، ص ١٣٩،١٤٠،١٥٥

(٢١) المرجع السابق، ص ١٤١،١٤٠.
(٢٢) نفس المرجع، ص ١٤٨،١٤٩.
(٢٣) نفس المرجع السابق، ص ١٤٩.
(٢٤) قصة الفلسفة الحديثة، محمود زكي، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .
(٢٥) تاريخ الفكر الفلسفي، محمد علي أبو ريان، (١٩٠/٤).
(٢٦) فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ١٦٢.
(٢٧) فكرة الألوهية في الفلسفة الإنجليزية، محمد رضا نقاز، ص .١٨٧.
(٢٨) ينظر: فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ١٦٤.
(٢٩) ينظر: نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، لفؤاد زكريا، ص .٨٧ – ٨٨ .
(٣٠) نقد العقل المحض، إمانويل كانط، ص ٢٩٥-٢٩٦ .
(٣١) ينظر: كانط والبراهين اللاهوتية، بطلان الحجة على عدم وجود الكائن الواجب، روبرت آندرو آربيل، ص ١٥٧.
(٣٢) نقد العقل المحض، إمانويل كانط، ص ٣٠٠.
(٣٣) المرجع السابق، ص٣٠١.
(٣٤) نقد العقل المحض، إمانويل كانط، ص ٣٠٨.
(٣٥) المرجع السابق، ص٣١٢.
(٣٦) نقد العقل العملي، إمانويل كانط، ص ٢١٧-٢١٩ .
(٣٧) المرجع السابق، ص ٢٢٤.
(٣٨) نقد ملكة الحكم، إمانويل كانط، ص ٤١٦-٤١٧ .
(٣٩) الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٦٧ .
(٤٠) نقد العقل العملي، ايمانويل كانط، ص ٢٢٦-٢٢٧.
(٤١) المرجع السابق، ص٢٢٧.
(٤٢) فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ١٧٨-١٧٩.
(٤٣) كانط، زكريا إبراهيم، ص.٢٠٢ .
(٣٧) ينظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، مصطفى النشار، ص ١٥٨.
(٤٥) فكرة الألوهية في فلسفة باركلي، فريال حسن خليفة، ص ١٩٤.
(٤٦) المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس، ترجمة: يحيى هويدي، ص .١١
(٤٧) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص .١٧٨
(٤٨) نقد العقل المحض، ايمانويل كانط، ص ٣٠٨.
(٤٩) عيون المسائل ضمن مجموع فلسفة الفارابى، لأبي نصر الفارابي، ص ٦٦ .
(٥٠) النجاة، لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا - ص ٢٣٥، والإشارات والتنبيهات - لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا (٤٤٧/٣).
(٥١) النجاة – ص٢٢٤-٢٢٥.

(٥٢) رسائل الكندي الفلسفية، يعقوب بن إسحاق الكندي (١/ ٢١٤-٢١٥).

(٥٣) فصوص الحكم، أبي نصر الفارابي، ص ٦٢ .

(٥٤) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، أبي الوليد بن رشد، ص ٦٦ .

(٥٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وقال : لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا الوازع، تفرد به علي بن ثابت " (٦/ ٢٥٠) ح(٦٣١٩أ) وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة من طريق سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ» (١/ ٢١٠)

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم: كتاب الله تعالى.

١. العظمة -المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري -الناشر: دار العاصمة – الرياض -الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٢. الأخلاق النظرية - د. عبد الرحمن بدوي - الناشر وكالة المطبوعات – الكويت - الطبعة الثانية - ١٩٧٦م.

٣. الإشارات والتنبهات - لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا – بتحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية.

٤. اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)المحقق: مصطفى عبد القادر عطا -الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م

٥. الله في الفلسفة الحديثة - لكامل فؤاد - طبعة مكتبة غريب - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٧٣م.

٦. باركلي - ليحيى هويدي - دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

٧. تاريخ الفلسفة الحديثة - ليوسف كرم - طباعة دار كلمات عربية - الطبعة الأولى.

٨. تاريخ الفكر الفلسفي - لأبي ريان محمد علي - دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.

٩. الترغيب والترهيب -المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي -الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)المحقق: أيمن بن صالح بن شعبان -الناشر: دار الحديث – القاهرة - الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

١٠. جورج باركلي بين الدين والفلسفة - ليامن نوح - طبعة مركز نماء للبحوث والدراسة - الطبعة الأولى.

١١. دراسات في الفلسفة العامة – لعبد المنعم عباس راوية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٨م.

١٢. رسائل الكندي الفلسفية - ليعقوب بن إسحاق الكندي - بتحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة - ط دار الفكر العربي- مصر - الطبعة الأولى - ١٩٥٠م.

١٣. عيون المسائل ضمن مجموع فلسفة الفارابي - لأبي نصر الفارابي - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٩٠٧م.

١٤. فصوص الحكم - لأبي نصر الفارابي - ط ١٩٤٩م.

١٥. فكرة الألوهية في فلسفة باركلي - لفريال حسن خليفة - طبعة مكتبة الجندي - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦. الفلسفة المثالية، ليوسف حامد الشين، (طباعة منشورات جامعة قابوس – الطبعة الأولى ١٩٩٨م).
١٧. فكرة الألوهية في الفلسفة الإنجليزية - محمد رضا نقاز - جامعة السانيا – وهران - الجزائر.
١٨. الفلسفة الإنجليزية في مئة عام - متس رودلف - ترجمة: فؤاد زكريا - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩م.
١٩. قصة الفلسفة الحديثة - لمحمود زكي - لجنة الترجمة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٣٦م.
٢٠. كانط - لزكريا إبراهيم - مكتبة مصر للطباعة والنشر - الطبعة الثانية - ١٩٩٢م.
٢١. كانط والبراهين اللاهوتية - بطلان الحجة على عدم وجود الكائن الواجب - روبرت آندرو آربيل - تعريب: هبة ناصر - وردت هذه المقالة في الدورية التابعة للأكاديمية الأمريكية الدينية.
٢٢. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة - لأبي الوليد بن رشد - ط دار العلم للجميع - ١٣٥٣هـ
٢٣. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ -المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: حسين سليم أسد الدّاراني -الناشر: دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ
٢٤. المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس - ترجمة: يحيى هويدي - دار المعارف للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٦٨م، وطبعة المركز القومي للترجمة - القاهرة - ٢٠١٥م.
٢٥. المعجم المدرسي - محمد خير أبو حرب - بتدقيق ندوة النوري - وزارة التربية - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
٢٦. المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني -الناشر: دار الحرمين - القاهرة
٢٧. الموسوعة العربية الميسرة - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢٨. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٩. النجاة - لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا - الطبعة الثانية - ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
٣٠. نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان - لفؤاد زكريا - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥م.
٣١. نقد العقل العملي - إمانويل كانط - ترجمة غانم هنا - المنظمة العربية للترجمة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٨م.
٣٢. نقد العقل المحض - إمانويل كانط - ترجمة وتقديم د. موسى وهبة - مركز الانماء القومي - بيروت - لبنان.
٣٣. نقد ملكة الحكم - إمانويل كانط - ترجمة غانم هنا- المنظمة العربية للترجمة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥م.
٣٤. https://ar.wikipedia.org/wiki.